بسم الله الرحمن الرحيم

**خطبة الجمعة: 13/01/2012م** **الشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَّال**

## سلسلة قرأت في كتاب

# (الفَرَج بعد الشِّدة)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله، فنحن اليوم في دار ابتلاء فالسعيد من وعظ بغيره، والسعيد من ملأ حياته طاعة، وغير السعيد من ذهب اتجاه المعصية، أو انشغل عن الطاعات بالأهواء والملذات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ،ثم أستفتح بالذي هو خير: **قال الله تعالى:** ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:2-3].

**وقال عز وجل:** ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 36]

وقال عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص:5-6].

وقال عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:62].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: 75، 76]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات: 114 - 116]

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 83، 84]

وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفضل العبادة انتظار الفَرَج)) [الترمذي]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس –رضي الله عنهما–: ((واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفَرَج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)) [الترمذي وأحمد]

هذه هي الخطبة العشرون في سلسلة: (قرأت في كتاب)، أختار لكم فيها فوائد منثورة، في كتب قرأتها أو بعضها؛ ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم:

## ) الفَرَج بعد الشِّدّة (

وعنوان هذه الخطبة عنوان عدد من الكتب في المكتبة الإسلامية، واحد منها ألَّفَه المحدِّث ابن أبي الدنيا، وآخَر لأبي الحسن المدائني، واخترتُ أن أطلِعَكم على ما جاء فيما كتب القاضي أبو علي المحسن بن علي التَّنوخي في كتابه (الفَرَج بعد الشِّدة)؛ إذ جعل كتابه أربعة عشر باباً، وذكر فيه ما ورد في القرآن من ذلك، وما ورد في الحديث والآثار، وذكر قصصاً عمَّن نجَّاهم الله من كُرُبات وشدائد وأزمات، فعقد باباً لمن نَجَا بالدعاء، وآخَر لمن خلص من القتل، وآخَر لمن عافاه الله من مرض أعيى الأطباء، وآخر فيمن نجا من لصوص..، وهكذا.

وها أنا أختار لكم شيئاً مما جاء في الكتاب:

لما أنزل الله سورة الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح:1-8]، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: ((**لن يغلب عسر يسرين**)) [أخرجه الطبري بنحوه]

قال المفسرون: أعلَمَ اللهُ عبادَه بأن مع العُسرِ الواحد يُسرَين، إذا رغبوا إلى الله تعالى ربهم، وأخلصوا له طاعاتهم ونياتهم.

لأن عادة العرب إذا ذكروا اسماً معرَّفاً ثم كرَّروه فهو هو، وإذا نكَّروه ثم كرَّروه فهو غيره وهما اثنان.

لذلك قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : يقول الله تعالى: (**خلقتُ عسراً واحداً وخلقتُ يسرَين، ولن يغلب عسرٌ يسرَين**) [القرطبي والرازي].

وقال ابن مسعود –رضي الله عنه–: (والذي نفسي بيده، لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، ولن يغلب عسر يسرين).

وعن عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جده: أن أبا عبيدة حُصِر، فكتب إليه عمر: مهما نزل بامرئ من شدَّة، يجعل له الله بعدها فرجاً، ولن يَغلب عسر يسرين، فإنه يقول: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:200].

ومن لَطائف ما ذكره المفسرون في هذه الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قالوا: إن الله تعالى قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فالله تعالى يخلق العسر ويخلق اليسر معه، ولم يقل جل جلاله: إن بعد العسر يسراً، ولكن قال: (مع).

ألا يا أيّها المرء الذي الهمّ به برّح
إذا ضاق بك الأمر ففكّر في ألَمْ نَشْرح
فعسر بين يسرين إذا كررته فافرح

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفَرَج القريب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ربه ففرج عنه؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: دعاء ذي النون (يونس): لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)) [الترمذي]

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((كلمات الفَرَج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب العرش الكريم)) [البخاري ومسلم].

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: ((كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل به همّ أو غمّ قال: يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث)) [الترمذي]

وكان مما ذكر التَّنوخي في قصص من ابتُلِيَ ببلاء ثم فرّج الله عنه: الإمام الجليل والتابعي العَلَم الحسن البصري رضي الله عنه قال:

اغتاظ الحجاج من الحسن البصري غيظاً شديداً، فدعا به، وقال: والله لأقتلنَّه، فمضى الجندُ فأحضروه، وقد أُعلم بما قال، فكان في طريقه يحرك شفتيه بما لا يُسمع.

فلما دخل على الحجاج، رأى السيف والنطع بين يديه وهو متغيّظ، فلما وقعت عليه عين الحجاج، كلمه بكلام غليظ، ورفق به الحسن، ووعَظَه. فأمر الحجاج بالسيف والنّطع فرُفِعَا، ثم لم يزل الحسن يمرّ في كلامه، إلى أن دعا الحجاج بالطعام، فأكلا، وبالوضوء فتوضأ، وبالغالية –أخلاط الطيب– فغلَّفه بيده، ثم صرفه مكرّماً.

فقيل للحسن: بمَ كنتَ تحرّك شفتيك؟ قال: قلتُ: (يا غياثي عند كربتي، ويا عدّتي في ملمّتي، ويا صاحبي في شدّتي، ويا وليّ نعمتي، ويا إلهي، وإله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وموسى، وعيسى، ويا ربّ النبيين كلهم أجمعين، صلِّ على محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار، وارزقني مودّته وخيرَه ومعروفه، واصرف عنّي أذاه وشرّه ومكروهه ومعرته). ففعل ربي عز وجل ذلك.

وذكر التنوخي قصة الرجل الصالح إبراهيم بن الأدهم في سفَره قال:

عن عبد الجبار بن كليب قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر، فعرض لنا دابة كبيرة أهمّتنا وأخافتنا، فقال إبراهيم: قولوا: (اللهم احرُسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا برُكنك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نُهلك وأنت رجاؤنا، يا الله يا الله يا الله)، قال: فولّت الدابة وسُرّيَ عنا، قال عبد الجبار: فأنا أدعو الله بهذا الدعاء عند كلِّ مخوِّف، فما رأيت إلا خيراً .

| | |
|---|---|
| ادفع بصبرك حادث الأيام | وترج لطف الواحد العلام |
| لا تيأسن وإن تضايق كربُها | ورماك ريب صروفها بسهام |
| فله تعالى بين ذلك فَرجَة | تخفى على الأبصار والأوهام |
| كم من نَجِيٍّ بين أطراف القنا | وفريسةٍ سلمت من الضرغام |

ذكروا عن الحسن البصري –رحمه الله– أنه قال: (عجباً لمكروب غفل عن خَمس، وقد عرف ما جعل الله لمن قالهن:

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:155-157].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: 173-174].

وقوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: 44-45].

وقوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:87-88].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 147، 148].

قال الحسن: مَن لَزِم قراءة هذه الآيات في الشدائد، كشفها الله عنه؛ لأنه قد وَعَد، وحَكَم فيهنّ بما جعله لمن قالهنّ، وحُكمه لا يَبطل، ووعده لا يُخلَف.

أيها الإخوة:

هذا شيء مما قرأتُ في كتاب "الفَرَج بعد الشدّة" للتنوخي.

ختاماً: إذا نزل بأحدنا كرب أو بلاء أو شدة المطلوب منه خمسة أمور:

**أولها**: أن يستقبل قضاء الله بالرضا، ففي الحديث: ((**إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فلَه الرضا، ومن سَخِط فعليه السَخَط**)) [الترمذي]

**وثانيها**: أن يصبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10]

**وثالثها**: أن يُكثِر التوبة والاستغفار راجياً الفَرَج به، قال صلى الله عليه وسلم:

**((من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيق مخرجاً، ورَزَقه من حيث لا يحتسب))** [أبو داود وابن ماجه]

**و رابعها**: لا تيأس من روح الله مهما طال الانتظار ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:87]

**وخامسها**: أن يجأر إلى الله بالدعاء. **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

**(( دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت))** [أبو داود والنسائي]

أخرج ابن مردويه عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((يقول الله عزَّ وجلَّ: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.**

**وما من أهل قريةٍ ولا أهل بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي))**.

والحمد لله رب العالمين